كرامات الأولياء

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–:

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِي مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

(الشرح)

قوله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ): الكرامات: لغةً: جمع كرامة. قال ابن منظور: (والكَرَامَةُ: اسْمٌ يُوضَعُ للإِكرام)[1]. واصطلاحًا: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد رجل صالح.

الأولياء: جمع وَلِي، مأخوذ من الوَلْي، وهو الدنو والقُرب، وأولياء الله هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢، ٦٣]؛ فمن كان لله تقيًّا كان لله وليًّا، فالولاية ليست دعوى، ولا تحصل بالوراثة! وإنما تنال بتقوى الله، عز وجل؛ فبعض الجهال يظن أن الولاية تتسلسل كابراً عن كابر، ويقول: هذا البيت بيت أولياء! والتقي: هو الممتثل أوامر الله، المجتنب مناهيه، ولا ريب أن لأولياء الله تعالى منزلة عليّة، وقد أجزل الله الثناء عليهم، فقال في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[2]؛ فلأولياء الله تعالى منزلة خاصة عند الله تعالى، في الدنيا والآخرة؛ فهم في الدنيا في حفظه، وصونه، وحماه، وفي الآخرة لهم الدرجات العلى في الجنة.

قوله: (وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ): **خرق العادة ثلاثة أنواع:**

---

[1] لسان العرب: (١٢/ ٥١٢)

[2] أخرجه البخاري: رقم (٦٥٠٢).

أحدها: الآيات: وهي ما يجريه الله على أيدي أنبيائه تصديقًا لهم، وإقامةً للحجة على أقوامهم، ولا يضاهيها شيء من الخوارق مطلقًا، ويسميها بعضهم (معجزات)، والأُولى تسميتها آيات؛ موافقة للقرآن.

الثاني: الكرامات: وهي ما يجريه الله تكرمة لبعض عباده الصالحين، مما لم يألفه الناس، إما لحاجتهم الخاصة، وإما لحاجة الناس العامة، ويكون ذلك دليلًا على صلاحهم، ودليلًا على صحة نبوة النبي الذي اتبعوه؛ فإنه لولا اتباعهم له لما نالوها.

الثالث: السحر: وهي ما يقع من التخييل، والشعوذات للسحرة الكفرة، الفجرة، بالاستعانة بالشياطين؛ يموهون بها على الناس.

والكرامات تتعلق بأمرين:

– **العلوم والمكاشفات:** بأن يُخبر الولي، بإلهام من الله تعالى، بما لم تجر العادة به، كإخبار أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أن الذي في بطن امرأته أنثى، فكان كذلك؛ (عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَاهَا نَحَلَهَا جُذَاذَ عِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ مَالِه، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَلَسَ فَتَشَهَّدَ وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا بُنَيَّةُ فَإِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي لَأَنْت، وَإِنَّ أَعَزَّ النَّاسِ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي أَنْت، وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُك جُذَاذَ عِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ مَالِي فَوَدِدْتُ أَنَّك كُنْت جَذَذْتِيه وَحُزْتِيه، وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ الْوَارِث، وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ، قُلْتُ: هَذَا أَخَوَايَ فَمَنْ أُخْتَايَ؟ قَالَ: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ فَإِنِّي أَظُنُّهَا جَارِيَةً)[1].

وكاطِّلاع عمر، رضي الله عنه، على جند من المسلمين، بأرض العراق، عليهم سارية بن زنيم، وقد كاد أن يحاط بهم؛ (فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَطَبَ يَوْمًا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: يَا سَارِيَةُ بْنَ زَنِيمٍ الْجَبَلَ، مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ فَقَدْ ظَلَمَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ سَارِيَةَ، وَسَارِيَةُ بِالْعِرَاقِ؟ ... فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَدِمَ سَارِيَةُ فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَ عُمَرَ فَصَعِدْتُ الْجَبَلَ).[2]

– **الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ:** فإن الله تعالى يمكن بعض صالحي عباده من فعلٍ لا يقع لغيرهم، ويصنع الله لهم ما لا يصنع لغيرهم، ومن أمثلة ذلك: ما وقع للعلاء بن الحضرمي –رضي الله عنه–عند فتح البحرين؛ فعَنْ أَبِي السَّلِيلِ ضُرَيْبِ بْنِ نُفَيْرٍ، (قَالَ: كُنْتُ مُرَافِقًا لِلْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، حِينَ بُعِثَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَسَلَكْنَا مَفَازَةً، فَعَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا، حَتَّى خَشِينَا عَلَى أَنْفُسِنَا الْهَلَاكَ، وَمَا نَدْرِي مَا مَسَافَةُ الْأَرْضِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيمُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، اسْقِنَا، قَالَ:

---

[1] كرامات الأولياء من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: (٩/ ١٢٣).

[2] كرامات الأولياء من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: (٩/ ١٢٨).

فَإِذَا نَحْنُ بِسَحَابَةٍ، كَأَنَّهَا جَنَاحُ طَائِرٍ، قَدْ أَظَلَّتْنَا، حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى خَلِيجٍ مِنَ الْبَحْرِ، مَا خِيضَ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا خِيضَ بَعْدَهُ، فَالْتَمَسْنَا سُفُنًا فَلَمْ نَجِدْ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيمُ، يَا عَظِيمُ، أَجْرِنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، ثُمَّ قَالَ: جُوزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَشَيْنَا عَلَى الْمَاءِ، فَوَاللَّهِ مَا ابْتَلَّتْ قَدَمٌ، وَلَا خُفُّ بَعِيرٍ، وَلَا حَافِرُ دَابَّةٍ، وَكَانَ الْجَيْشُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَلَمَّا جُزْنَا قَالَ: هَلْ تَفْقِدُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأَتَيْنَا الْبَحْرَيْنِ، فَافْتَتَحَهَا، وَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، ثُمَّ مَاتَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ).[1]

وقد أفرد الإمام أبي القاسم اللالكائي، رحمه الله، جزءًا من ديوانه الحافل، (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، في حكاية كرامات الأولياء، وذكر عشرات الأمثلة.

وقد انقسم الناس في هذا الباب إلى طرفين ووسط:

– **قوم غلوا في إثبات الكرامات:** وهم الصوفية، حتى ادعوها لكل من هب ودب، ومشى ودرج، وصاروا يتوسعون في حكايتها، ولا يأبهون لإثباتها؛ فإنهم يزعمون لأوليائهم، زوراً وبهتاناً، من القَصص والخرافات ما لا يخطر ببال، ولا يدور بخيال، ويتوسعون في هذا بغرض تكثير الأتباع، وتعظيم الذوات، ومن قرأ في "طبقات الشعراني" وجد العجب العجاب من المخاريق والدعاوى العريضة.

– **قوم غلوا في إنكار الكرامات:** وهم المعتزلة، وقالوا: لا يمكن أن تخرق العادة إلا لنبي، وإلا لالتبس النبي بالولي، والتبس النبي بالساحر! هذه شبهتهم. والجواب:

– لا يمكن أن يلتبس النبي بالولي؛ لأن الولي لا يدعي النبوة؛ الولي من أشد الناس إزراءً على نفسه، وحطًّا لها، واتضاعًا لله، عز وجل، فكيف يتصور أن يقول الولي عن نفسه إنه نبي؟! بل ولا يدعي أنه ولي، هذا من أبعد البعيد، وأمحل المحال.

ويلتحق بهؤلاء المنكرين، من يسخر بالكرامات دون تحقق، وتمحيص، ويبادر إلى وصفها بالخرافات، وهذا كثير عند الماديين العصرانيين.

– ولا يمكن أن يلتبس النبي بالساحر، أو الولي بالساحر؛ لأن بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان فُرقان عظيم؛ شتان بين النبي، الذي دلائل الصدق، والصلاح بادية عليه، في أقواله، وأفعاله، وسيرته، وبين الساحر، الخبيث، النجس، الذي يشرك بالله، ويأكل أموال الناس بالباطل، ويطأ الفرج الحرام، ويغشى صنوف المنكرات؛ لا يمكن أن يلتبس هذا بهذا، والناس تدرك الفرق بين الطيب والخبيث، والصادق والكاذب. وأين تذهبون؟ وماذا تصنعون بما أخبر الله تعالى به في كتابه من إثبات السحر؟ كما في قصة سحرة فرعون، وفي قول الله تعالى: {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

[1] كرامات الأولياء من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: (٩/ ١٦٢).

هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢]، فلا شك أن للسحر حقيقة وتأثير، لكن ليست حقيقته قلب الأعيان والذوات، وإنما التخييل والأذى.

– **قوم توسطوا**: وهم أهل السنة والجماعة؛ فأثبتوا كرامات الأولياء؛ إما رحمة به وتنفيساً وفرجًا، مثل ما وقع لصلة بن أشيم؛ كان في مفازة؛ فمات جواده، فسأل الله تعالى أن يبقيه له، فرد الله عليه روحه، حتى بلغ باب منزله، ثم قال لابنه: يا بني انزع اللجام، فإن الفرس عارية، ثم وقع الجواد ميتًا، وإما لحاجة الأمة، كما استسقى معاوية، رضي الله عنه، بيزيد بن الأسود الجرشي، فسقوا.

قوله: (**كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ**): يشير إلى ما جرى للفتية أصحاب الكهف، فقد ناموا ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله تعالى! وما جرى من الخضر، صاحب موسى، عليه السلام، على القول أنّه ولي، وما مكّن الله به ذا القرنين من بناء الردم العظيم، حتى قال: {هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي} [الكهف: ٩٨].

قوله: (**وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**): تقدم ذكر طائفة من كرامات الأولياء لبعض الصحابة والتابعين، وهي سارية باقية في أمة محمد، صلى الله عليه وسلم؛ بحمد الله. فلا عجب أن يجري الله تعالى على أيدي عباده الصالحين في هذه الأزمنة، وما بعدها، من الكرامات ما يكون لطفًا بهم، وتعزيزًا لأمرهم، ودِلالة على صدق اتباعهم لنبيهم، فإذا صح ذلك بالسند، وثبت بالنقل الصحيح؛ وجب تصديقه، ولا يجوز أن يقابل بالاعتراض، ووصف من قاله بالدروشة والسذاجة؛ فإن الكرامة باقية في أمة محمد، صلى الله عليه وسلم.

وكأن المصنف، رحمه الله، يشير بوجودها إلى يوم القيامة، إلى ما يجري زمن المهدي، في آخر الزمان، حيث يكثر المال جدًّا، حتى إن الرجل يخرج بصدقته فلا يجد من يقبلها! وحتى إن الأرض تخرج خيراتها، حتى يستظل الرهط بقحف الرمانة! وحتى أن اللقحة من الإبل تكفي الفئام من الناس!